بسم الله الرحمن الرحيم

تحولات مفصلية نحو بلورة نظام دولي جديد

(أي قطبية تصلح لهذا النظام ؟)

الحلقة ٦٥

الرفيق الدكتور أبو الحكم

المقدمة :

المنطقة مرشحة لتوترات خطرة .. فهل يشعلها سباق التسلح .. وإذا ما اشتعلت فمن يستطيع إخماد نيرانها التي تحيطها براميل بارود ؟! .

- توازن القوى وتوازن المصالح .. هل يتحقق هذان التوازنان ؟ :
- معضلة الأمن (Security Dilemma) ، المشرق والخليج العربي :
- منطقة الشرق الأوسط .. تناقضات وسياسات نحو التصادم :
- سياسة سباق التسلح في المنطقة .. لماذا وكيف ؟ :

١- توازن القوى وتوازن المصالح هل يتحقق هذان التوازنان ؟ :

يمكن فهم توازن القوى ، أن دولة ما قد ارتقت في قدراتها نحو تجميع عناصر القوة .. بحيث باتت تشعر بالتفوق .. وهو الأمر الذي يدفع دولة أخرى إلى الدفاع عن نفسها في الحصول على القوة أو الدخول في تحالفات قوى لكي تحقق التوازن .. هذا المفهوم المبسط يعطي معنى لحركة الدولة حين تستشعر الخطر أو التحدي الناجم عن تراكم القوة لدى جارتها خاصة التي تضمر لها العداء وإن تاريخ علاقاتهما يشهد على النيات المبيتة – مثلما يحصل الآن ومنذ عام ١٩٧٩ والدولة الإيرانية ما انفكت تبني قوتها على حساب دول المنطقة وأمنها واستقرارها ، الأمر الذي دفع بهذه الدول إلى التحالف والتوجه صوب التسلح لبناء القوة من أجل التوازن وردع العدو ومنعه من العدوان .

– في خضم الصراعات التي تجري على مسرح السياسي (الإقليمي) ، ليس هنالك (توازن قوى) بالمعنى المتعارف عليه ، لأن (فراغات الأمن) والصراعات لا تبقي مثل هذا التوازن .. كما لا يبقي (توازن المصالح) ، هو الآخر بسبب اتساع (فراغات الأمن) والصراع المحتدم والمستمر بـ(الوكالة) ، وإذا ما وجد شيئًا

من (توازن القوى) فهو نسبي ويتأرجح تبعًا لمعايير القوة ودفاعاتها وترساناتها ومستوى التسلح لديها .

إذن .. هنالك (صراع قوى) و(صراع مصالح) يتداخل فيه الإقليمي والدولي في صيغة غريبة تعكس (تحالفات) براغماتية مؤقتة ومشروطة ، تغيب عنها قواعد الصراع الاستراتيجية ، حتى وإن ظهرت في صيغة استراتيجية .

ومثل هذا الصراع يختلف عن كل الصراعات التقليدية السابقة ، التي كانت محكومة بقوانين دولية وصراعات جيوشها النظامية .. بيد أن الصراعات الراهنة تتم في خارج أطر القانون الدولي وخارج مضامين مبادئ ميثاق المنظمة الدولية المشلولة أصلاً ، والتي تحمل صيغة حروب المليشيات المسلحة المؤدلجة .. والمشكل أن الجيوش النظامية ، وهي تعمل خارج القانون الدولي المغيب أصلاً ، ترتبط مع هذه المليشيات بروابط رسمية في التنسيق والتعبئة والتسليح ، وهو الأمر الذي يجعل هذا النوع من الصراعات لا يستهدف انتصارات سياسية محددة ، إنما يستهدف التدمير الشامل والكامل للواقع الجيو – سياسي لواقع الدول وفرض سياسة الأمر الواقع عن طريق القوة المفرطة وبتغيرات جذرية .. هذا النمط من الصراعات ، التي تحدث في العراق وسوريا واليمن على وجه التحديد ، يعد من اخطر الصراعات في العالم

وأشرسها ، لأنه لا تحكمها ضوابط أو قواعد الصراع المكفولة بقواعد قوانين الحرب .

التوازن الممكن في مسألة الصراع المتبقي هو (توازن القوى النووية) ، حيث تختفي خلف توازن الرعب ، صراعات (تقليدية) ترمي إلى تغيرات جيو – سياسية تشمل الجغرافيا وخرائطها السياسية في آن واحد لفرض أو الاستحواذ على مناطق النفوذ وإيجاد مواضع قدم استراتيجية .

الإشكالية الراهنة :

هي أن القوة التي يتوجب أن تضبط شؤون العالم في إطار المنظمة الأممية باتت منفلتة في خارجها .. والخطورة تكمن في مرحلة تراجعها منذ العام ٢٠١١ بسبب تآكل اقتصادها .. والمعني أمريكا .

والصراع القائم بالوكالة .. هو صراع من أجل فرض (التأثير) ليس بمعايير التوازن .. هنالك (اختلال) كبير في ميزان تعادل القوى الدولي ، رغم أن أمريكا في حالة تراجع .. إنما هنالك (اختلالات) في التوازنات الإقليمية انتجها الاحتلال .. والحديث عن توازن قوى إقليمية بعد أن انتهاك نظام الأمن الإقليمي وجوهره نظام

(الأمن القومي العربي) ، هو توازن (نسبي) متصاعد ويكتسب شكل سباق للتسلح .. وهذا أيضًا لا يكفي للتوازن ، لأن التوازن في القوى لا يقتصر على السلاح والتسلح ، إنما على جملة من عناصر القوة ، التي تدفع بالقوى إلى صدارة التوازن الحقيقي الذي يحفظ (توازن المصالح) .. وما دام اختلال التوازن في القوى قائمًا فأن الحديث عن توازن المصالح ضربًا من الخيال في ظل غياب احكام القانون الدولي وأحكام المنظمة الدولية .

– فـ(توازن القوى) ممكن أن يتشكل حين يستقر محور الميزان من التذبذب بعد أن تأخذ مصر ككتلة جيو سياسية كبيرة مكانتها الطبيعية في التوازن ، والعراق بعد أن يتحرر من الاحتلالين الأمريكي والفارسي ليعود جناح الأمة الشرقي في استراتيجية الأمن القومي العربي ، وسوريا بعد أن يتخلص من الهيمنة الإيرانية والروسية والنظام الدموي .. عندئذٍ ، سيتحقق توازن قوى الأمة مع القوى الإقليمية ككتل جيو– سياسية كبيرة ومؤثرة هما تركيا وإيران .. أما (توازن المصالح) فمن الصعب الاعتقاد بوجود مؤشر يؤكد هذا التوازن لصعوبة وضع مناهج السياسات الخارجية موضع تطلعات القيادات السياسية للدول الإقليمية !! .

٢- معضلة الأمن (Security Dilemma) ، المشرق والخليج العربي :

لم تأتِ الشكوك من الخيال في عالم السياسة .. ولم تكن المخاوف انعكاس للأوهام التي تضخم رؤية المخاطر ، والحديث هنا عن السياسة .. فإن مخاوف الأمن تنطلق من حقائق واقعية ملموسة كأن تعلن دولة ما عن نيتها غير الطبيعية في التعبئة وتجميع عناصر قوتها وتتسلح بطريقة واسعة وغير مبررة .. فالتسلح يقود إلى سباق للتسلح الذي يعزز معضلة الأمن (Security Dilemma) ، وقد يرافق سباق التسلح تحالفات ومحاور إقليمية تدعو إلى الشك والريبة بشأن مسائل الأمن والاستقرار :

دعونا نرى من هي الدولة التي تكرس معضلة الأمن في المنطقة وتزعزع الأمن والاستقرار فيها :

- التسلح الإيراني (التقليدي) الذي يتسع كثيرًا ، والإصرار على خط الإنتاج السري (غير التقليدي) ، وتزيد وحدات الطرد المركزي الحديثة في تخصيب اليورانيوم ، الذي تتمسك به طهران ، وتمارس تجاربها الصاروخية البالستية ، يدفع بصورة طبيعية ، معظم دول المنطقة إلى التسلح من أجل ، إما التوازن في القوة أو

تعزيز الوضع الدفاعي أو الردع المقابل .. وهذا يعتمد على حشد القوة من جهة ، وطبيعة التسلح النوعي من جهة أخرى .

– هنالك طرف منتج للسلاح ، يراقب ويقوم بعرض امدادات التسلح لجني الأموال وإبقاء حالة التصعيد ولا يكترث بانهيار الأمن الاجتماعي ويدفع نحو سباق التسلح والاحتقان والتصادم .

– هذا الوضع ، الذي تتجسد فيه معضلة الأمن لا يُسَهِلْ لأن ينشأ أي نظام للأمن الإقليمي ، إنما يفكك نظام الأمن القومي العربي ويقوض بالتالي مصالح جميع الفرقاء الذين يتعاملون مع أطراف التصعيد .

– هنالك قوى إقليمية كبرى في المنطقة (السعودية وتركيا ومصر) تعيش توترات بسبب السلوك الإيراني التوسعي ، فيما تعيش باقي الدول قلقًا متعاظمًا جراء هذا السلوك، على الرغم من أن تركيا تتوجس خطواتها بحذر شديد على أساس معطيات الدفاع عن أمنها القومي .. فيما يظهر السلوك الإيراني عدائيًا ولا يستثني أحدًا من دول المنطقة .. وهو الأمر الذي يدخل في دائرة القانون الدولي ومعالجة هذا السلوك بروادع عملية مضمونة ومؤكدة .

٣- منطقة (الشرق الاوسط) .. تناقضات وسياسات نحو التصادم :

هناك اضطراب كبير في منطقة (الشرق الأوسط) .. وهذا الاضطراب قد زعزع سياسات الدول وأربك استراتيجياتها غير المركزية ، نتيجة للأحداث المتسارعة ، في شكل أفعال عسكرية متلاحقة وتحركات سياسية سريعة ومكوكية ، بحيث لم يعد الاحتكام لأسس العمل السياسي الذي يؤكد على مبدأ التحليل القائم على الترابط الموضوعي في ضوء عناصر التحليل المعروفة مجديًا .. وأحيانًا كثيرة يخرج عليها حتى أن تطبيق مبادئ الاستراتيجية قد اختفى تقريبًا وحل محله الاستنتاج القائم على (ردة الفعل) .. فما هو، الثابت والمتحرك على ساحة (الشرق الأوسط) ؟ :

أولاً- لم يعد الاحتكام الكلي لمبدأ الاستراتيجية .

ثانيًا- ظهور مبدأ رد الفعل غير المنضبط على مستويات مختلفة ، والاستباق في الفعل ، وعدم الاحتكام لمنهج التصعيد المتدرج .

ثالثًا- تجنب التصادم المباشر بين القوى الإقليمية بعضها ببعض .

رابعًا- إعتماد مبدأ التوكيل أو التصادم أو الصراع بـ(الوكالة) .

خامسًا– عدم ثبات التحالفات .. بعضها مؤقت وشكلي وبعضها توافقي– براغماتي .. لم ترتق الى مستوى التحالفات الاستراتيجية عدا التحالف الاستراتيجي القائم بين أمريكا و(إسرائيل) حسب اتفاقية مشتركة وقعت في عام ١٩٨٥ .

سادسًا– أشباه جيوش تتصادم وليس جيوشًا نظامية ، باتت تأخذ صيغ الانفلات وعدم الرضوخ لقواعد الحروب وقوانينها وسياقات عملها والتزاماتها والاتفاقيات والمعاهدات التي تحكم مساراتها ونتائجها .

سابعًا– ظهور نزعات تفكك وانسلاخ داخل الوحدات السياسية للدولة القومية في إثر نزعات التصادمات الطائفية والأثنية بفعل سياسات إثارة مبيتة .

ثامنًا– تعامل الدول والحكومات مع (مليشيات) طائفية مسلحة على مستوى تنسيق السياسة والأمن .

تاسعًا– الدول الكبرى والعظمى وحدها قادرة على ان تتعامل تقريبًا مع معطيات هذا الواقع المتحرك ، ليس على أساس الثابت القوي ، لأن المخاطر باتت تجتاح كل شيء حتى الثابت ، **وذلك بالاعتماد على ما يسمونه** :

١– تعزيز التوجهات التي يمكن الاعتماد عليها .

٢– عدم قطع (شعرة معاوية) في العمل السياسي والدبلوماسي .

٣- تنمية القدرات للتعامل مع (المنعطفات الحادة) بطريقة الجاهزية على المواجهة، والعمل (الاستباقي) .

٤- تنمية القدرة على الحوارات مع مختلف الفرقاء في ضوء محصلة الثابت ومحصلة المتحرك في آن واحد !! .

عاشرًا- قدرة الدول والحكومات في اللعب سياسيًا وتعبويًا على (التناقضات) والتعامل (المزدوج) المعايير مع الأضداد .!!

- سياسة سباق التسلح في منطقة (الشرق الأوسط) .. لماذا ، وكيف ؟ :

يتبع ...

١١ / ١٠ / ٢٠١٧

كتّاب الشبكة

صفحة الكاتب أبو الحكم

فرسان البعث العظيم